

عقيدة

انبثاق الروح القدس

من الآب والابن

في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح تحتفل الكنيسة بعيد تنظمه في عداد أجل أعيادها السنوية نعني به عيد العنصرة المختص بتذكار حلول الروح القدس على التلاميذ في عليية صهيون. فالبيعة الجامعة على اختلاف طوائفها شرقاً وغرباً لا تذخر وسعها في تعظيمه بطقوسها وحفلاتها الشائقة التي تدوم أسبوعاً كاملاً كعيدي ميلاد الرب وقيامته. وقد سبقت مجلة الشرق (9 : 523 - 530) ووصفت تلك الحفلات البهية وما يمتاز به هذا العيد في الطوائف المختلفة. وقد أحببنا الآن أن نفرّد مقالة خاصة لقضية مهمة من قضايا الإيمان المتعلقة بالروح القدس أعني انبثاق هذا الأقدوس الثالث من الآب والابن وهي العقيدة التي ينكرها البعض ولو ترؤوا فيها كما سنبيّن لوجودها من أضواء العقائد النصرانية وأثبتها برهاناً.

تحديد المجمع القسطنطيني في انبثاق الروح القدس من الآب

ان آباء مجمع نيقية وهو المجمع المسكوني الأول الملتئم سنة 325 لم يذكروا بخصوص الروح القدس إلا هذه العبارة الوجيزة : ((نؤمن بالروح القدس)) . وذلك لأنه لم يكن خالج عقول المؤمنين في أيامهم شك ولا وقع جدال في ما لا يلاحظ الإيمان بالروح القدس. بل كانت تنحصر الحرب والمدافعة في ما يتعلق بأقنوم يسوع المسيح ولاهوته. فكان معلوماً لدى الكاثوليك والهرطقة معاً أنه لو تضعع الإيمان بأقنوم ابن الله وميلاده من جوهر الآب ووحدة جوهرهما وتمييز أقنوميهما لتضعع الإيمان كله بالثالوث الأقدس وبشخص الروح القدس. وبالعكس لو ثبتت العقيدة الكاثوليكية بخصوص الآب والابن وتحققت لثبت الإيمان بأقنوم الروح القدس وتحقق أو على الأقل سهلت المدافعة عن هذه الحقيقة ضد الهرطقة من المبادئ التي تكون تقررت وقُبلت من الطرفين في الجدل عن لاهوت ابن الله. قال القديس باسيليوس (رسالة 125 عدد 3) : ((ان سائر الأمور (عن ابن الله) حددت تماماً وباعتناء ههنا (أي في مجمع نيقية) لمداواة ما كان اعتل ولملاقة ما خشي أن يطرأ. أما الإيمان بالروح القدس فذكر بإيجاز ولم يُر من حاجة للبحث في هذه المسألة التي لم تكن بعد عرضت بل كانت هذه العقيدة متأصلة في عقول المؤمنين بدون ريب. لكن مع تفاقم الكفر شيئاً فشيئاً نبت الزرع الفاسد الذي كان بذره أريوس صاحب الهرطقة وساعده سعي الأشرار الذين اعتنقوا أضاليله وكان ذلك لضرر الكنيسة فاتصل الكفر الى التجديف على الروح القدس)) .

ولما استحفل الشر عُقد المجمع السكوني الثاني وهو الملتئم في القسطنطينية سنة 381 ضد مقدونيوس بطريرك القسطنطينية وأصحابه الناكرين ألوهية الروح القدس. فحكم عليهم وقرر ألوهية الروح القدس وأضاف الى عبارة مجمع نيقية ما يلي : ((نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي مع الآب والابن يُسجد له ويُمجّد الناطق بالأنبياء)) .

فلماذا مع ذكر انبثاق الروح القدس من الأب لم يذكر آباء المجمع انبثاقه من الابن؟ فهل بسكوتهم هذا أرادوا نفي انبثاق الروح من الابن؟ لا لعمرى فإنهم قد افترضوه كحقيقة مقررة كان يسلم بها كل من الطرفين. لا بل نقول انه لم يكن من الموافق اذ ذاك أن يذكروا انبثاق الروح القدس من الابن وكان يكفي أن يبرهنوا لاهوته من انبثاقه من الأب لأن الجدل كان يدور حول مسألة واحدة هل الروح القدس هو إله غير مخلوق أو هو مخلوق وغير إله. فإذا كان منبثقاً من الأب فهو إله بدون شك. ولتبيان حالة الجدل في ذلك العصر نقول :

ان الهرطقة الأريوسيين بعد أن حكم عليهم مجمع نيقية وقرر ألوهية يسوع المسيح خرج منهم حزب اتخذوا طريقة أخرى مستترة ومنحرفة ليقاوموا العقيدة التي كان قررها هذا المجمع ولينشروا أفعالهم. فأطلق عليهم اسم ((نصف أريوسيين)) . فقام في مقدمتهم مقدونيوس بطريرك القسطنطينية وأخذ يعلم أن الروح القدس ليس إلهاً معترفاً بالفم فقط ان الابن مولود من الأب وأنه إله من إله ومدعياً ان الروح القدس غير منبثق من الأب بل مخلوق من الابن الذي به كُون كل شيء . وما ذلك إلا ليتوصل الى نفي مساواة الابن للأب في الجوهر. وقد فضح القديس أثناسيوس قصد الهرطقة هذا (في رسالته الى يوفيانوس الملك. عدد 1) قال : ((في عزم البعض في أيامنا هذه أن يجددوا هرطقة أريوس فتجاسروا ونكروا الإيمان الذي اعترف به آباء نيقية متظاهرين أنهم يعترفون به وفي الحقيقة يردلونه لأنهم يفسرون تفسيراً سيئاً للفظه (أو مؤوسيون) أي : له وللأب جوهر واحد)) ويتفوهون بكلام تجديف ضد الروح القدس قائلين أنه مخلوق وان الابن كونه ((

من المقرر أن هذا كان تعليم فرقة من الأريوسيين المضادين للإيمان بلاهوت الروح القدس. فكانوا يعلمون ان الابن والروح القدس مخلوقان. يتضح ذلك مما أورده القديس باسيليوس عن تعليم أونوميوس الهرطوقي (باسيليوس في كتابه ضد أونوميوس ك 2 عدد 33) قال أونوميوس : ((اذا كان أحد يرتفع من المخلوقات ليدرك الجوهر يجد أن الابن هو خليفة الغير المولود (يريد مخلوق من الأب) وأن البارقليط هو خليفة المولود الوحيد (يريد مخلوق من الابن). فرد عليه باسيليوس (في العدد 34 ص 651) بقوله : ((كل يعلم أن لا عمل في الابن منفصل عن الأب ولا شيء في الطبيعة يتعلق بالابن ولا يتعلق بالأب لأنه قال : ((كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي)) (يوحنا 17 : 10) فكيف ينسب (أونوميوس) اذاً علة الروح للابن وحده ويدعي أنه خلق الروح)) وذلك لكي يذلل طبيعته.

وقال القديس أثناسيوس (في رسالته الأولى الى القديس سراجيون الأسقف. العدد 21) في مدافعتة عن لاهوت الروح القدس : ((فإن كان الترتيب ذاته والطبيعة ذاتها في الروح بالنسبة الى الابن كما في الابن بالنسبة الى الأب ألا ينبغي للذين يدعون أن الروح القدس مخلوق أن يقولوا القول ذاته عن الابن. لأنه لو كان روح الابن مخلوقاً لالتزموا ضرورة بالقول ان كلمة الأب أيضاً مخلوق.. فالذين يتجاسرون ويتفوهون بهذه الأقوال عن الروح ان كانوا يأبون حقيقة التمسك برأي أريوس عليهم أن يتجنبوا أيضاً أقواله ولا يجدفوا على الروح القدس)) .

فما سبق ترى أيها القارئ اللبيب أن تعليم الهرطقة يحتوي ثلاثة أشياء. الأول أن الروح القدس ليس من الآب ومن ثم انه ليس إلهاً. والثاني أن الروح القدس هو من الابن أو بعبارة أخرى بواسطة الابن. والثالث أنه مخلوق من الابن. فالقول الأول هو المقصود من الهرطقة أي ان الروح القدس ليس إلهاً. والثاني أن الروح القدس هو من الابن أو بواسطة الابن فقد اعتبره الجميع كحقيقة مقررة في الكتب المقدسة ومسلم بها. إلا أن الهرطقة فهموه بمعنى مخالف للمعنى الذي فهمه الكاثوليك لأنهم قالوا ان الروح هو من الابن بمعنى أن الابن خلقه لا أنه صدر من جوهره. أما الكاثوليك المؤمنون بألوهية الروح القدس فإنهم فهموا بصدوره صدوراً جوهرياً من الابن كما من الآب إذ أن للآب والابن جوهرأ واحداً.

هذه كانت نقطة الجدل بين آباء الكنيسة والهرطقة. فآباء الكنيسة افترضوا كعقيدة ثابتة مقبولة منهم ومن خصومهم صدور الروح القدس من الابن بالمعنى العام أي الصدور منه بغض النظر مؤقتاً عن الكنيسة. ومن هذا التعليم انتقل الآباء الى إيضاح الإيمان الكاثوليكي الصحيح والى دحض ضلال الهرطقة المزدوج وتعليمهم الفاسد القائل بأن الروح القدس ليس من الآب وانه مخلوق من الابن.

فلما كانت غاية آباء مجمع القسطنطينية إثبات ألوهية الروح القدس رأوا من الموافق السكوت عن صدوره من الابن لأن الهرطقة لم يكونوا لينكروه وان ضلوا في فهمه وتفسيره واكتفى المجمع بتقرير صدور الروح القدس من الآب وهو الأمر الذي كان يرفضه الهرطقة.

فقد وضح اذًا ان سكوت آباء مجمع القسطنطينية في قانون الإيمان عن انبثاق الروح القدس من الابن لم يكن نفيًا له بل سلوكاً بحكمة لئلا يخالغ عقول الكاثوليك الفكر أن هذا الصدور كان كما يدعي الهرطقة أي ان الابن كَوّن الروح القدس وخلقها. ومن ثم كان يكفي المجمع ان يقرر ويثبت العقيدة التي كان ينكرها الهرطقة الذين إنما كانوا ينكرون انبثاق الروح القدس من الآب لينفوا ألوهيته. فإذ قرر آباء المجمع أن الروح القدس ينبثق من الآب وانه اله نتج ضرورة بالوقت ذاته ان الابن الذي منه الروح القدس هو اله أيضاً ودحضوا هكذا تعليم نصف الأريوسيين

هات نبحت الآن عن الحقيقة ونبين بأدلة أوضح من نور الشمس أن عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب هي عقيدة مستندة الى الآيات الإنجيلية ومطابقة كل المطابقة لمعتقدات الآباء الأطهار من الشرقيين والغربيين معاً. فنستنتج من ثم أن من يرفض عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب يكون تحت مسؤولية كبرى أمام كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية التي لا تحيد البتة عن معتقدات الآباء الأطهار وتحافظ على سلامة وديعة الإيمان وصحتها كما تسلمتها. واذ ذلك لا يبقى على من كان ذا قلب سليم وضمير مستقيم إلا أن يتبع تعليم الكنيسة الكاثوليكية اذا ما رغب البقاء في كنيسة المسيح الحقيقية والفوز بالخلالص الأبدي.

المراد بالقول أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن

يلزمنا بادئ بدء أن نحدد ونبين ماذا نفهم بعقدية انبثاق الروح القدس من الأب والابن. فنقول إننا بهذا المعتقد ننسب الى الابن كما ننسب الى الأب الفعل نفسه الذي به ينبثق الروح القدس. ونعلم أنه ينبثق منهما لا كمن مبدئين لكن كمن مبدأ واحد ولا بنسمتين بل بنسمة واحدة.

ثم اننا بقولنا ان الروح القدس ينبثق نفهم أنه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي ينسبه كما أننا بقولنا عن الابن أنه مولود من الأب نعني أنه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي يلده.

فباعترافنا أن الروح القدس ينبثق من الأب والابن نعلم أنه يأخذ الذات الالهية من الأقتنومين الالهيين الأب والابن اللذين ينسمانه ويتقدمانه في رتبة المبدأ لا في الزمان.

وهذه العقيدة المفسرة على هذه الصورة هي مطابقة لتعليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ومعلميها. هذا ما نريد إيضاحه وتأييده. فنبتهل الى الروح القدس أن ينور العقول ويحرك القلوب لتدرك الحق وتتبعه.

شهادات الكتاب المقدس

البرهان الأول : من الآية أن الروح يسمع من الابن ويأخذ منه

قال السيد المسيح لتلاميذه : ((ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده لكن يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي. هو يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للأب فهو لي من أجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم)) (يوحنا 16 : 13 – 15). فبهذه الكلمات الالهية أوضح المسيح ان الروح القدس ينبثق ليس فقط من الأب لكن من الابن أيضاً. واليك البرهان والبيان : قُل لي بحياتك ما معنى قول المسيح ان الروح يأخذ مما للمسيح وماذا يمكن الروح أن يأخذ منه. أحتاج الروح يا ترى بعد وجود ذاته الالهية الأزلية أن يتعلم من الابن أو ان يكتسب من الابن الحكمة والمعرفة؟ حاشا لنا من هذا القول الكفري. لأن كل مسيحي يعلم حق العلم ان الروح القدس اله مساوٍ للأب والابن وان له وللأب وللابن طبيعة واحدة وقدرة واحدة وحكمة واحدة ومعرفة واحدة هي لاهوته وذاته. فنسأل ما معنى قول المسيح اذًا ان الروح القدس يأخذ مما له وان الروح يتكلم لا من عنده لكن بكل ما يسمع. ان السيد المسيح بقوله هذا يعلمنا صريحاً ان كلام الروح القدس وعلمه وحكمته الذاتية ليست منه بل معطاة له من مصدر آخر الهى ومن ثم يعلمنا أن الروح القدس يصدر منه ذاتياً أي أنه منذ الأزل يأخذ منه جوهره وينبثق منه.

يؤيد ذلك ما قاله المسيح عن ذاته : ((ان تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني)) (يوحنا 7 : 16). وقال أيضاً : ((اني لست أفعل شيئاً من عندي ولكن كما علمني الأب كذلك أقول)) (يوحنا 8 : 28). وقال في موضع آخر : ((الذي أرسلني هو حق والذي سمعته منه به أتكلم في العالم. فلم يعرفوا أنه يقول ان أباه هو الله)) (يوحنا 8 : 26 و 27) وقال أيضاً : ((ان الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما يرى الأب يعمل لأنه مهما عمله ذاك فهذا يعمله الابن أيضاً على مثاله. لأن الأب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل)) (يوحنا 5 : 19 و 20). فكما أن المسيح بهذه

الأقوال وما يشبهها يدلنا على أنه صدر من الأب منذ البدء وأنه يولد منه ولادة أزلية ((قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن)) (يوحنا 8 : 58) ((قد خرجت من الأب وأتيت الى العالم)) (يوحنا 16 : 28). كذلك بقوله ان الروح القدس ((لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع)) وبقوله ((يأخذ مما لي ويخبركم)) يدلنا دلالة بيينة على أن الروح القدس يصدر منه ويأخذ منه ما هو له أي جوهره وذاته ولاهوته أي ينبثق منه. وبهذا المعنى قال القديس أوغسطينوس (المقالة 99 في تفسير يوحنا العدد 5) : ((ان سمعه هو معرفته ومعرفته هي ذاته فيسمع اذًا من ذلك الذي ذاته منه وذاته من ذلك الذي ينبثق منه)) . وقال أيضاً (في المقالة ذاتها العدد 4) : ((لا يتكلم من عنده لأنه ليس هو من ذاته لكن يتكلم بكل ما يسمع ويسمع من ذلك الذي هو صادر منه وسمعه هو معرفته ومعرفته هي ذاته كما بيئنا سابقاً. فلأنه ليس هو من ذاته بل من ذلك الذي يصدر منه فمعرفته اذًا هي من ذلك الذي منه ذاته والسمع ليس شيئاً آخر إلا المعرفة)) . وقال أيضاً (في المقالة ذاتها عدد 8) : ((ان الذي ناله منه الابن أن يكون الهاً لأنه اله من اله نال منه أيضاً أن ينبثق منه الروح القدس. وهكذا نال الروح القدس من الأب ان ينبثق من الابن كما ينبثق من الأب)) .

وقد زادنا المخلص له المجد برهاناً وإيضاحاً بقوله ((جميع ما للأب فهو لي من أجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم)) . فقولته هذا يعني : كما أن جميع ما للأب هو لي وأنا أخذت منه وأتيت اليكم لأعلمكم كذلك جميع ما هو لي هو للروح وقد أخذ مني الذات وسيأتي اليكم ليرشدكم. وعليه فالروح القدس يأخذ ذاته من الابن كما يأخذها من الأب فهو اذن ينبثق من كليهما.

ان هذا البرهان هو ليوحنا الذهبي الفم (في الميمر 78 وفي بعض النسخ الميمر 77 على يوحنا عدد 2 في الأخير) : ((جميع ما للأب هو لي فحيث هو لي والروح يتكلم مما هو للأب فيتكلم مما هو لي)) . وقال القديس كيرلس الإسكندري (في شرحه آية يوحنا 16 : 4) : ((انه لخال من الخطأ ومن كل لوم القول بأن روح الابن يأخذ منه شيئاً. لأنه به ينبثق طبيعياً بما أنه خاصته)) .

البرهان الثاني : من الآية ان هو ما للأب هو للابن

من هذه الآية ((جميع ما للأب فهو لي)) (يوحنا 16 : 15) والآية الأخرى ((كل شيء هو لك وكل شيء لك هو لي)) (يوحنا 17 : 10) يمكننا أن نستخرج برهاناً ثانياً ليس أقل قوة من الأول لتأييد انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الأب فنقول : ان الابن لا يتميز عن الأب إلا بشيء واحد كون الأبوة في الأب والبنوة في الابن. فالنسبة الإضافية التي بين الأب والابن تجعل الواحد أباً والآخر ابناً وفي ما سوى ذلك لا تمييز البتة بينهما بل هما ذات واحدة ((أنا والأب واحد)) (يوحنا 10 : 30) ((آمنوا اني أنا في الأب وان الأب فيّ)) (يوحنا 14 : 11) . قال القديس يوحنا الدمشقي (في كتابه على مشيئتي المسيح العدد 11) : ((كل ما هو للأب فهو للابن ما عدا أنه غير مولود)) . وقال القديس كيرلس الاسكندري (في كتابه ضد الأنتروبولومورفيت الفصل 6) : ((كل ما فهمته أنه الأب فهو الابن ما خلا شيئاً واحداً انه أب)) . ومن ثم فحيث كل شيء مشاع ما بين الأب والابن ما عدا الأبوة في الأب والبنوة في الابن فينتج هذا ضرورة : كما أن الأب يبتثق الروح ذاتياً كذلك الابن يبتثق الروح ذاتياً. وإلا لما صدقت الآية ((جميع ما للأب فهو لي)) والآية ((كل

شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي ((. وعليه فمن قال ان الروح القدس ينبثق من الآب فقط يجعل ما بين الآب والابن تمييزاً آخر غير الأبوة والبنوة اذ أنه يخص بالآب انبثاق الروح وينفيه عن الابن مبطلاً قول المسيح ((جميع ما للآب فهو لي)) و ((كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي)) . وحيث هو محال أن تبطل أقوال المسيح يلزمنا أن نعتقد بأن الابن يبتثق الروح القدس كما يبتثقه الآب وكلاهما يبتثاقه بنسمة واحدة.

وقد شرح هذا البرهان القديس أوغسطينوس بكلام صريح يزيل كل ريب وبحجة تقنع كل مكابر. وفحوى كلامه هو أن الآب اذ منح منذ الأزل جوهره للابن منحه أيضاً أن ينبثق منه الروح القدس أزلياً لأن جوهر الآب والابن هو واحد.

قال (في كتابه عن الثالث ك 15 العدد 47) : ((كل من يمكنه فهم ميلاد الابن من الآب أزلياً فليفهم أيضاً انبثاق الروح القدس أزلياً من كليهما. وكل من يستطيع أن يفهم قول الابن كما أن الآب له الحياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته (يوحنا 5 : 26) بالمعنى أن الآب الحي منح الحياة للابن وأن الحياة التي منحها الآب للابن اذ ولده أزلياً هي حياة أزلية كما هي حياة الآب المانح فليفهم أيضاً أنه كما أن الآب له في ذاته أن ينبثق منه الروح القدس كذلك أعطى الابن أن ينبثق منه أيضاً الروح القدس. وانبثاقه من كليهما أزلي. واذ نقول ان الروح القدس ينبثق من الآب نفهم أن الآب أعطى للابن أن ينبثق منه الروح لأنه ان كان كل ما هو للابن هو له من الآب فمن الآب أخذ أن ينبثق منه الروح القدس. لكن لا يخالجن فكرنا أن هناك زمناً فيه قبل وبعد لأن لا زمان هناك البتة... كما ان الميلاد من الآب يعطي الابن جوهره بدون بداية زمان وبدون تغيير في الطبيعة كذلك الانبثاق من الاثنين يعطي الجوهر للروح القدس بدون بداية زمان وبدون تغيير في الطبيعة.... الآب وحده لا مصدر له أما الابن فإنه مولود من الآب. وأما الروح القدس فإنه مبدئياً من الآب المانح له معاً بدون مهلة زمان أن ينبثق من الاثنين. فإذا الروح ليس مولوداً من كليهما بل هو روح كليهما منبثق من كليهما ((. انتهى كلام القديس أوغسطينوس.

البرهان الثالث : من إرسال الابن للروح القدس

كلّ يعلم أن في الأناجيل آيات صريحة يُعلن فيها أن أقنوماً يُرسل أقنوماً آخر. فقد كُتب : ((لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم)) (يوحنا 3 : 17) وأيضاً ((كما أرسلني الآب الحي)) (يوحنا 6 : 58). وهذه الآية أيضاً ((تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني)) (يوحنا 7 : 16) وأيضاً الآية ((الذي أرسلني هو حق والذي سمعته منه به أتكلم في العالم)) (يوحنا 8 : 26). هذه الآيات هي عن إرسال الآب للابن. أما عن إرسال الآب للروح القدس وإرسال الابن أيضاً للروح القدس فوردت الآيات الآتية : ((أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي)) (يوحنا 14 : 26) و ((متى جاء المعزي الذي أرسله اليكم من عند الآب)) (يوحنا 15 : 26) وأيضاً ((اذا مضيت أرسلته اليكم)) (يوحنا 16 : 7).

فما معنى هذا الإرسال؟ أتكون سلطة في الثالوث لأقنوم على آخر أو يكون الأقنوم المرسل خاضعاً أو خادماً للأقنوم الذي يرسله أو هل يقبل منه أمراً؟ أنه لمعلوم عند الجميع أن الأقانيم الثلاثة هم متساوون في السلطة والعظمة والكرامة ولا سلطة لأقنوم على آخر ولا تمييز في الثالوث إلا تمييز الأقانيم بعضهم عن بعض مع وحدة الجوهر والذات والطبيعة. وهذا التمييز كما سبق القول قائم بالنسبة الإضافية بين الأقانيم فتجعل أن يكون في الطبيعة الواحدة أب وابن وروح قدس.

فنسأل أذاً ما معنى هذا الإرسال؟ لا شك أنه يدل على أمر مهم في اللاهوت لأننا لم نقرأ قط في الإنجيل الشريف أن الأب أرسل من الابن أو أنه أرسل من الروح القدس ولم نجد في الكتب المقدسة أن الابن أرسل من الروح القدس بل نعلم حق العلم أن الأب أرسل الابن وأن الأب والابن أرسلا الروح القدس. قال القديس أوغسطينوس (في كتابه ضد خطاب الأريوسيين ف 4) : ((ان الأب وحده لم نقرأ عنه أنه أرسل لأنه وحده ليس له مبدأ يولد منه أو ينبثق منه. وليس ذلك لسبب اختلاف ما في طبيعة الثالوث إذ لا اختلاف فيها لكن لسبب أن الأب وحده هو المبدأ فلا يقال عنه أنه أرسل. كما أنه ليس النور ولا الحرارة يصدران النار بل النار هي التي تصدر النور والحرارة)) . فمن كلام القديس أوغسطينوس نفهم ما هو هذا الإرسال. انه صدور أقنوم من آخر. لأن الآيات التي أوردناها أنفاً من الإنجيل تتكلم عن مفاعيل مختصة بالأقنوم كقوله ((فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع)) (يوحنا 16 : 13) وقوله ((ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة)) (يوحنا 16 : 8) . وهذا الإرسال الأقنومي هو فعل في الخارج لكنه لا يُقال عن فعل في الخارج إلا لأنه يدل على فعل في باطن اللاهوت فيعني صدور أقنوم من أقنوم أي صدور الأقنوم المرسل من الأقنوم الذي يرسله. فينتج أذاً ضرورة من قول الإنجيل ان الأب أرسل الابن ان الأب مصدر الابن ومبدأ له وأنه يفيض عليه طبيعته الالهية. ومن قول الكتاب ان الأب يرسل الروح القدس يقتضي هذا القول ان الأب يصدر الروح القدس ويفيض عليه طبيعته الالهية. ومن ثم فإذا يقول الكتاب المقدس ان الابن يرسل الروح القدس يعلمنا بلا ريب أن الابن يصدر الروح القدس ويفيض عليه طبيعته الالهية التي يفيضها عليه الأب. فالإنجيل الطاهر حيث يصرّح بأن الروح القدس يرسل تارة من الأب وتارة من الابن يعلمنا جلياً أن الأب والابن يصدران الروح ويفيضان عليه طبيعتهما الالهية وبعبارة أخرى انهما مبدأ واحد يبتقان الروح القدس وينسمانه بنسمة واحدة. فإذا الروح القدس هو منبثق من الأب والابن.

البرهان الرابع : من نسبة الروح للأب والابن

تكررت في الأسفار المقدسة الآيات : ((روح الله)) (متى 3 : 16 ورومية 8 : 9 و 11 و 14 وكورنثس الأولى 2 : 10 و 11) . ((روح الرب)) (لوقا 4 : 18 و أعمال 5 : 9 و 8 : 39 و 2 كورنثس 3 : 17) . ((روح الأب)) ولا ريب في أن معناها الروح المنبثق من الله الأب. والدليل على ذلك أن الآية ((روح الله)) يفسرها الكتاب المقدس الآية ((الروح الذي من الله)) (1 كورنثس 2 : 11 و 12) فهكذا أذاً نُسب الروح الى الابن وقيل ((روح الابن)) (غلاطية 4 : 6) . ((روح المسيح)) (رومية 8 : 9 و 1 بطرس 1 : 11) . ((روح يسوع المسيح)) (فيلبي 1

(19 :) . ((روح يسوع)) (أعمال 16 : 7) كان المراد ((الروح الذي من الابن . الذي من يسوع المسيح . الذي من يسوع)) كما ان الآية ((روح الله)) يعبر عنها بالآية ((الروح الذي من الله)) (1 كورنتس 2 : 11 و 12) . ومعلوم أن الروح الذي من الابن أو من يسوع المسيح أو من يسوع هو الروح الصادر والمنبثق منه كما ان الروح الذي من الأب هو الروح المنبثق من الأب .

هكذا علم آباء الكنيسة الذين اعتبروا كحقيقة ثابتة أنه لا ينسب الروح القدس الى أقنوم . إلا لأنه يصدر منه . قال القديس أثناسيوس (في كتابه عن الثالوث والروح القدس العدد 19) : ((أرسل الله روح ابنه الى قلوبنا . فإذ نشاهد الابن الوحيد ينفخ في وجوه الرسل قائلاً لهم خذوا الروح القدس يلزم أن نفهم أن نسمة الابن الباقية في حياته وفي جوهره هي الروح ولنعلم أنه غير مولود ولا مخلوق من الابن.... انه ليس مولود منه لأنه ليس كلمته . وحاشا لنا أن نقول عن الروح انه مخلوق . وقد علمنا من الكتب المقدسة أنه نسمة ابن الله فنقول اذًا ان الابن أيضاً هو مصدر الروح)) .

وقال أيضاً (في رسالته الثالثة الى سيرابيون العدد 1) : ((ان الذي قيل له روح الأب هو روح الابن لأن الابن قال روح الحق الذي من الأب ينبثق)) (يوحنا 15 : 26) فقله روح الحق يريد به روح الابن المنبثق منه .

وقال القديس باسيليوس (ضد أونوميوس ك 5) : ((يعلمنا الرسول ان الروح القدس يظهر بالابن اذ يسميه روح الابن كما سمّاه روح الله ودعاه روح المسيح كما دعاه روح الله)) (1 كورنتس 11 : 11) . وقال القديس كيرلس الاسكندري (في تفسيره يوحنا ك 5 ف 2) : ((كما ان روح الابن هو خاص به لا يعطى له من الخارج كما يُعطى لنا بل هو قائم فيه بالطبيعة ومنه منبثق كذلك هو روح الأب)) .

ويعتبر القديس أوغسطينوس الآية ((روح الابن)) (غلاطية 4 : 6) مرادفة للعبارة ((منبثق من الابن)) قال (في الكتاب الرابع في الثالوث العدد 29) : ((لا يجوز القول ان الروح القدس لا ينبثق من الابن . اذ أنه لم يقل عبثاً انه روح الأب والابن ...))

وقال أيضاً أوغسطينوس (في الثالوث ك 15 الفصل 26 العدد 45) : ((قال الرسول عن الروح القدس : بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم (غلاطية 4 : 6) وقال عنه ابن الله : لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم هو المتكلم فيكم (متى 10 : 20) ومن شهادات أخرى عديدة هي في الكتاب المقدس يُستدل انه روح الأب والابن . وقال عنه أيضاً الابن : الذي أرسله لكم من عند الأب (يوحنا 15 : 26) وفي موضع آخر : الذي سيرسله الأب باسمي (يوحنا 14 : 26) . أما كونه ينبثق من الاثنين فيعلمنا ذلك الابن حيث يقول : الذي من الأب ينبثق (يوحنا 15 : 26) . وبعد ما قام من الأموات وتراءى لتلاميذه نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس (يوحنا 20 : 22) ليعلمنا أنه ينبثق منه أيضاً)) . وقال أيضاً أوغسطينوس (في الثالوث ك 5 الفصل 11 العدد 12) : ((ان الروح القدس اذا لحظنا ان هذا الاسم خاص به هو في الثالوث ويُنسب الى الأب والابن لأن الروح القدس هو روح الأب والابن)) .

فترى أيها القارئ الأديب من أقوال الآباء التي أوردناها انهم بالآية ((روح الابن)) فهموا الروح المنبثق من الابن.

البرهان الخامس : من الرتبة الموجودة بين الأقانيم الالهية

يوجد في الثالوث الأقدس رتبة حقيقية مقررة وثابتة : فكلما ذكرت الأقانيم الثلاثة الالهية تذكر بمقتضى النسبة الباطنة التي بينهم. قال السيد المسيح : ((عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس)) (متى 28 : 19) وقال يوحنا (1 يوحنا 5 : 7) : ((الأب والكلمة والروح)) . فإذا ذكر بالعكس الأقسام الثالث أولاً يُحفظ مع ذلك الترتيب النسبي ذاته : الروح، الرب، الاله. قال الرسول (1 كور 12 : 4 - 6) : ((ان للمواهب أنواعاً لكن الروح واحد. وللخدم أنواعاً لكن الرب واحد. وللأعمال أنواعاً لكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل)) . وقد لاحظ القديس باسيليوس في شرحه هذه الآية (في الروح القدس ف 16 العدد 37) : ان الرسول لا يورد هنا الترتيب الذاتي لكنه يراعي عوائد البشر فقال : ((لكن من كون الرسول ذكر أولاً الروح وثانياً الابن وثالثاً الله الأب لا ينبغي أن نفتكر أن الترتيب تلاشى لأن الرسول تكلم هنا بحسب عوائدنا لأننا اذا نلنا المواهب ننظر أولاً الى من يوزعها ثم نفتكر بمن أرسلها ونصعد بالفكر الى ينبوع الخيرات وسببها)) (أي نصعد بالفكر الى الأقسام الأول الأب الذي ليس هو من أقنوم آخر بل منه الأقسام الأخران) . وقال أيضاً (في الكتاب ذاته ف 18 العدد 47 الصفحة 154) : ((الطريقة لمعرفة الله هي من الروح الواحد بواسطة الابن الواحد الى الأب الواحد. وبالعكس الصلاح الجوهرى والقداسة حسب الطبيعة والشرف الملوكي يصدر من الأب بالابن الى الروح القدس وبهذه الطريقة نعترف بالأقانيم دون أن نهدم الاعتقاد القويم بالوحدة)) .

وهذا الترتيب الذاتي الباطني في الثالوث لا ريب فيه كما يتضح من كل صور الإيمان المقررة في المجامع ومن الليتورجيات. وليس مفاده انه يوجد في الثالوث من يكون الأول في الزمن ومن يكون الثاني ومن يكون الثالث لأن بهذا المعنى لا تكون بين الأقانيم النسبة الأصلية فينتفى الترتيب الصحيح والتميز الحقيقي بينهم في وحدة الجوهر فالترتيب اذاً لا يعني ان بينهم سابقاً ومتأخراً لأن الله لا زمن فيه ولا قبل ولا بعد بل يراد بالترتيب الباطني في الثالوث أن الأقسام الأول هو الأب والثاني الابن والثالث الروح. فلا يراد ترتيب تقديم وتأخير بل ترتيب صدور الواحد من الآخر. هذا هو الترتيب الوحيد الموجود في اللاهوت. فينتج من ثم انه يوجد ارتباط بين الأقانيم وان الأب هو المصدر ومنه يولد الابن ومن الأب والابن يصدر أو ينبثق الروح القدس لأن الأب أعطى للابن مع جوهره كل كماله الجوهرية ما عدا الأبوة وحدها التي بها يتميز عن الابن. فأعطاه اذاً أيضاً أن ينبثق منه الروح القدس. ومن ثم الابن هو مع الأب مصدر الروح القدس ومصدر واحد كما ان الأب والابن هما جوهر واحد وإله واحد.

ومن هذا الترتيب الباطني والواجب الموجود في الأقانيم الثلاثة مع الوحدة في الطبيعة وجميع الصفات الجوهرية ينتج ضرورة ان الأقسام الثالث ينبثق من الابن كما من الأب لأن ترتيب التسلسل

الحقيقي في الله يعني أمرين هما : تمييز الأقانيم لما بينهم من النسبة في الأصل. ثم تسلسل اللاحق من السابق بالمعنى الذي يمكن أن يقال في الله سابق ولاحق أي مصدر وصادر.

لأنه لو لم يكن بين الأقانيم تمييز حقيقي لما أمكننا أن نتصور في الله ترتيباً حقيقياً لأن الترتيب يقتضي وجود ارتباط بين كثيرين مميز بعضهم عن بعض مع وجود وحدة ما بينهم. وقد سبق القول أنه لا يوجد في الله تمييز حقيقي إلا بمقتضى النسبة التي بين الأقانيم نظراً للأصل والتسلسل.

فالترتيب أداً في الأقانيم الالهية هو ترتيب صدور ولكي يفهم ذلك جيداً نقول انه ليس سديداً القول : أقنوم أول وأقنوم ثانٍ وأقنوم ثالث لأن في هذا القول لا توجد نسبة أقنوم الى آخر يكون أصله ومصدره فيبطل التمييز الحقيقي ويبطل معه الترتيب أيضاً في الأقانيم. وإنما القول السديد هو : الأقنوم الأول الأب الأقنوم الثاني الابن الأقنوم الثالث الروح القدس. قال القديس باسيليوس (في رسالته 125 وفي بعض النسخ 78 العدد 3) : ((بسبب الذين يخلطون كل شيء ولا يحفظون تعليم الإنجيل يجب أن نعلن أنه يلزم اجتناب أولئك الذين يبدلون ترتيب الأقانيم المسلم لنا من الرب ويخالفون علناً الحقيقة فيضعون الابن قبل الأب والروح القدس قبل الابن. فمن الضروري أن نحفظ ثابتاً وبدون تغيير الترتيب الذي تعلمناه من فم الرب القائل : ((اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس)) فينتج من ثم أن صدور الابن الذي يسمّى قبل الروح يتقدم نوعاً ما صدور الروح. لكن لا تقدم في اللاهوت إلا تقدم الأصل. وعليه فبمجرد كون الروح القدس في الكتب المقدسة يسمى ثالثاً في الرتبة ينتج أن الأقبوليين الأب والابن يتقدمانه تقدم الأصل ولا تقدم غيره في اللاهوت. وبتعبير آخر ان الأب والابن هما مصدر الروح القدس فإداً الروح القدس ينبثق من الأب والابن.

العبارتان : منبثق من الأب والابن. منبثق من الأب بالابن

ان آباء الكنيسة اذ يتكلمون عن انبثاق الروح القدس يستعملون عبارتين. فالآباء اللاتين يستعملون عادةً هذه العبارة : منبثق من الأب والابن. أما الآباء اليونان فإنهم يستعملون عادة العبارة : منبثق من الأب بالابن.

فغاية الآباء اليونان في قولهم ينبثق من الأب بالابن كانت أن يفيدونا رأساً تمييز الأقبوليين وصدور الابن من الأب ثم وحدة المبدأ. لأنه كما ان الجوهر هو واحد كذلك قوة البثق هي واحدة في الأقبوليين. لكن الأب هو مبدأ غير صادر عن مبدأ آخر أما الابن فليس هو كالأب مبدأ غير صادر عن مبدأ لكنه هو مع الأب مبدأ واحد كما أنه مع الأب اله واحد وله ولأب جوهر واحد ومن ثم قوة بثق واحدة لأنه نال بميلاده من الأب ما هو للأب ما عدا الأبوة. اذ أن الأب والابن لا يتميزان في اللاهوت ولا في قوة البثق ولا في الصفات الجوهرية ولا تمييز آخر بينهما سوى نسبة الأبوة والبنوة. وبتعبير آخر : كل ما هو للأب وغير مُعطى له من أحد هو للابن لكن معطى للابن من الأب. ومن ثم الأب هو الينبوع الأصلي للبثق أما الابن فيأخذ من الأب جوهره وقوة البثق فهو مع الأب مبدأ واحد للبثق. وهذا المعتقد ليس إلا المعتقد بميلاد الابن من الأب مع وحدة الجوهر فالابن

هو من جوهر الأب وله الجوهر ذاته ومن ثم الأفتوم الأول والثاني هما إله واحد وبارتق لكن كما أن الأفتوم الأول هو ينبوع اللاهوت كذلك هو ينبوع البتق.

فمما سبق يتضح للقارئ ان بين هاتين العبارتين ((ينبثق من الأب والابن)) و ((ينبثق من الأب بالابن)) لا يوجد فرق في المعنى لكن في نوع التعبير فقط. فمعنى كليهما انبثاق الروح القدس من الأب والابن كمن مبدأ واحد. لكن في العبارة ((ينبثق من الأب والابن)) المراد رأساً هو إيضاح

حقيقة وحدة المبدأ. أما الترتيب الأصلي بين الابن والأب وكون قوة البتق هي للابن من الأب. فذلك لا يُذكر صريحاً بل يُفهم ويستخلص من أسمى الأب والابن.

أما في العبارة ((ينبثق من الأب بالابن)) التي يؤثرها الآباء اليونان فالمقصود منها رأساً هو الترتيب الأصلي بين الأب والابن الباتقين للروح أي أن الأب هو ينبوع الأصلي الذي منه أخذ الابن الجوهر وقوة البتق. فوحدة المبدأ لا تُذكر صريحاً في العبارة ((من الأب بالابن)) لكنها توجد ضمن معنى الفاعل أي الله الأب والله والابن.

وعليه فالآباء اللاتين في العبارة المستعملة منهم ((ينبثق من الأب والابن)) يقررون رأساً ضد الأريوسيين وحدة الجوهر والبتق وضمناً تمييز الأقانيم ضد السابليين الناكرين هذا التمييز. بينما الآباء اليونان بالعبارة التي كثيراً ما يستعملونها ((ينبثق من الأب بالابن)) يوضحون صريحاً ضد شيعة سابليوس تمييز الأفتومين الباتقين والترتيب بينهما وضمناً وحدة المبدأ ضد الأريوسيين.

ومن المقرر أن الآباء اللاتين استعملوا أيضاً عبارة اليونان كما ان الآباء اليونان استعملوا عبارة اللاتين لما بين العبارتين من الاتفاق في المعنى. كما يتضح من بعض أقوالهم : قال القديس ابيفانيوس (في المرساة العدد 67) ((ان المسيح من الله ونؤمن انه اله من اله. وروح الله من المسيح اذ أنه ينبثق من الاثنين كما يشهد المسيح بقوله ((الذي من الأب ينبثق)) (يوحنا 15 : 26) وأيضاً ((يأخذ ما لي)) (يوحنا 16 : 14 و 15).

وقال أيضاً (في المرساة العدد 70) : ((الله كله حكمة فالابن اذاً المكنون فيه جميع كنوز الحكمة (كولسي 2 : 3) هو حكمة من حكمة. والله كله حياة فالابن اذاً القائل ((أنا الحق والحياة)) (يوحنا 14 : 6) هو حياة من حياة. والروح القدس يصدر من الاثنين فهو روح من روح لأن ((الله روح)) (يوحنا 4 : 24). فبقوله ((يصدر من الاثنين)) صرَّح القديس ابيفانيوس أنه ينبثق من الأب والابن كما يقول الآباء اللاتين. وبقوله ((روح من روح)) أوضح أن الأب والابن هما مصدر واحد للروح القدس.

وقال أيضاً (في المرساة العدد 71) : ((من أنت أيها الانسان لتجاوب الله)) (رومية 9 : 20) الذي يسمى ابناً ذاك الذي يولد منه وروحاً قدساً ذاك الذي ينبثق من الاثنين. فهذه الثلاثة الأقانيم التي يعرفها بالإيمان وحده رجال قديسون هي نور ومصدر النور المنير ولها فاعلية النور... اسمع اذاً يا

هذا كيف أن الأب هو أب الابن الحقيقي وكله نور وكيف أن الابن هو ابن الأب الحقيقي نور من نور لا كسائر الأشياء المصنوعة أو المخلوقة وبالاسم فقط. وكيف أن الروح القدس هو روح الحق ونور ثالث من الأب والابن ((.

وقال أيضاً (في المرساة العدد 73) : ((لا أحد يعرف الابن والأب إلا الروح القدس الذي يمجده حقاً ويعلم كل شيء)) (يوحنا 14 : 26) والذي يشهد للابن (يوحنا 15 : 26) والذي ينبثق من الأب والابن ((.

وقال القديس كيرلس الإسكندري (كتاب الكنز ف 34) (عن الروح القدس أنه ((ينبثق من الأب والابن)) . وقال (ص 587) : ((الروح القدس هو من جوهر الابن)) . وقال (ص 590) : ((ان المخلص في الإنجيل قال عن ذاته أنا الحق (يوحنا 14 : 6) والمغيوط يوحنا يبين أن الروح هو من جوهر الأب والابن فقال في إنجيله (15 : 26) روح الحق الذي من الأب ينبثق. وقال (ص 594) : ((يأخذ مما لي ويخبركم. لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع)) (يوحنا 16 : 14 و 13) لأنه بعد أن أنجز عمله على الأرض وكان على وشك الصعود الى أبيه وعد تلاميذه بأن يرسل لهم المعزي. فلئلا يظنوا أن تعليم الروح القدس سيكون مخالفاً لتعليمه أعلن جلياً أنه كما الروح هو منه كذلك الكلام الذي يتكلم به يكون منه فقال لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع)) . فهذه لأقوال تبين جلياً أن الآباء اليونان استعملوا العبارتين ((ينبثق من الأب بالابن)) و ((ينبثق من الأب والابن)) بالمعنى ذاته كالآباء اللاتين.

ان المكان يضيق بنا لنذكر نصوصاً وافرة وافية للآباء اليونان غير التي أوردناها استعملوا فيها هذه العبارة ((ينبثق من الأب والابن)) أو ((ينبثق من الاثنين)) أو ((ينبثق من كليهما)) . وفي ما أثبتناه كفاية للعقول السليمة.

المجامع الخصوصية والعمومية

لما كانت حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الأب مسلماً بها ومنتشرة عند الجميع وكان يعلمها آباء الكنيسة الشرقية كالغربية بدون تردد ويؤيدونها بالبراهين المأخوذة من الكتب المقدسة ضد الهرطقة ناكري ألوهية الروح القدس فلا عجب أن تكون المجامع الخصوصية والعمومية قررتها قيل أن تنشأ في القرن التاسع الاعتراضات والمجادلات عن انبثاق الروح القدس من الابن واعترفت بها في صور قانون الإيمان تحذيراً للمؤمنين من الأضاليل التي ابتدأ البعض يبذرونها.

ففي المجمع الثاني الملتئم في طليطلة من أعمال اسبانية سنة 447 وكان اجتمع فيه كل أساقفة اسبانية نراهم يعترفون بأن الروح القدس ينبثق من الأب والابن. وفي مجمع طليطلة الثالث المنعقد سنة 589 قرر الآباء وضع اللفظة ((من الابن)) في صورة قانون الإيمان المثبتة في مجمع القسطنطينية الذي تكلمنا عنه في بدء هذه المقالة. وهذا نص الحرم الذي رشق به آباء مجمع طليطلة

كل من ينكر انبثاق الروح القدس من الأب والابن : ((كل من لا يؤمن بأن الروح القدس ينبثق من الأب و الابن وأنه أزلي مثلهما وأنه مساوٍ للأب والابن فليكن محروماً)).

ثم انه في المجمع الذي التأم سنة 680 في هيثفيلد من أعمال انكلترا وكان اجتمع فيه كل أساقفة تلك البلاد تحت رئاسة أسقف قنطوارية ثيودورس اليوناني الأصل قرر آباء المجمع صورة الإيمان كما يلي : ((نقبل المجمع المقدسة العمومية الخمسة التي اجتمع فيها الأبرار المقبولون لدى الله (هنا يذكر هذه المجمع)... وكذلك المجمع المنعقد في مدينة رومية في عهد المغبوط البابا مرتينوس... نقبلها ونمجد سيدنا يسوع المسيح كما هم مجدوه بدون أن نحذف أو نضيف شيئاً... ونمجد الله الأب الأزلي وابنه الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور والروح القدس المنبثق من الأب والابن بنوع يفوق الوصف كما علم هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً الرسل الأطهار والأنبياء والعلماء. فنحن جميعنا مع الأسقف ثيودورس نمضي الإيمان الكاثوليكي الذي أوضحناه)).

وكذلك قرر آباء المجمع الملتئم سنة 796 في مدينة فريجوس من أعمال فرنسية بسعي القديس بولين أسقف أكيلة. فهناك بعض أقوال هذا القديس : ((ان الآباء القديسين الراسخين في ثبات هذا الإيمان (يتكلم عن الجوهر الواحد للأب والابن) اعترفوا بموجب المعتقد الكاثوليكي ان الروح القدس ينبثق من الأب. ونعترف نحن أيضاً بافتخار أنه ينبثق من الأب والابن)).

و لا نرى من حاجة الى ذكر المجمعين العاميين أعني المجمع المسكوني الرابع عشر وهو مجمع ليون الثاني المنعقد سنة 1274 في مدينة ليون من أعمال فرنسة على عهد البابا غريغوريوس العاشر وملك القسطنطينية ميشال باليولوغ. ثم المجمع المسكوني السادس عشر الملتئم سنة 1439 في فلورنسة من أعمال إيطالية على عهد البابا أوجينوس الرابع وملك القسطنطينية يوحنا باليولوغ. وقد حضر هذين المجمعين الأساقفة اليونانيون. وكلهم اذعنوا وأذعنوا للحق (ما عدا مرقس أوجينيكوس أسقف أفسس الذي حضر مجمع فلورنسة) وأقروا بحقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الأب وأمضوا صورة إيمانهم.

ومن ثم نقول ان حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الأب المحتواة في الكتب المقدسة والمدافع عنها بأقوال الآباء القديسين المتواترة من شرقيين وغربيين والمعلنة والمقررة من المجمع المقدسة هي حقاً عقيدة من الإيمان يلزم اعتناقها والتمسك بها ولو كلفنا ذلك سفك دماننا وفقد حياتنا الجسدية الفانية.

كلمة في وحدة الله عزّ وجلّ وتثبيت أقانيمه

بعد أن بينا عقيدة انبثاق الروح القدس من الأب والابن ببراهين واضحة لا مرد عليها مأخوذة من آيات الكتب المقدسة الموحى بها من الله يحسن بنا أن نختم مقالتنا بتلخيص ما يعلمنا الإيمان المستقيم عن وحدة الله تعالى وأقانيمه الثلاثة لنفهم فهماً أتم ما يختص بانبثاق الروح القدس.

فبقول أولاً : ان الله هو أزلي الوجود لأنه الكون اللازم الوجود ((قال الله لموسى أنا هو الكائن. وقال كذا قل لبني اسرائيل الكائن أرسلني اليكم)) (سفر الخروج 3 : 14). فإذاً هو بمعزل عن

الزمن المختص بالمخلوقات المتغيرة والمنتقلة من حال الى حال. فلا ماضٍ في الله ولا مستقبل بل كل شيء حاضر لعزته. يمكننا أن نشبه كونه الأزلي بنقطة المركز في الدائرة فهي توازي كل نقط الدائرة. فإذا افترضنا ذرات تتحرك وتسير على خط الدائرة فهذه الذرات بالنسبة الى بعضها بعض هي قبل أو بعد. أما بالنسبة الى نقطة المركز فهي أبداً حاضرة. كذلك المخلوقات فهي بالنسبة الى بعضها بعض في الزمن فهي قبل أو بعد في الماضي أو في المستقبل. أما بالنسبة الى الله فهي دائماً حاضرة لعزته الالهية.

نقول ثانياً: ان الله اللزوم الكون هو واحد أي ذات غير متناهية. لكنه عز وجل مثلث الأقانيم وهذه الثلاثة الأقانيم هي اله واحد. فكما ان نفس الانسان هي واحدة في الجوهر لكنها مثلثة القوى وهذه القوى هي العقل والإرادة والذاكرة وكل من هذه القوى هي ذات جوهر النفس لكنها تمتاز عن القوتين الأخرين. فالعقل هو النفس المفكرة وهو يمتاز عن الإرادة وعن الذاكرة. والإرادة هي النفس المريدة وهي تمتاز عن العقل وعن الذاكرة. وهكذا القول عن الذاكرة. إلا أن هذه القوى في النفس ليست أقانيم قائمة بذاتها كما هي الأقانيم في الثالوث الأقدس.

قلنا ان الله هو واحد في ذات غير متناهية ونقول انه عقل وإرادة وفيه فعل واحد أزلي غير متناه. فيعرف الله ذاته ومعرفته لذاته هي ابنه كما أن فكرنا بصدر من عقلنا فهو ابن عقلنا. إلا أن الفكر في نفس الانسان عرض وفي الله جوهر. ونقول ان الله الأب يصدر الابن بطريقة الفهم منذ الأزل فهو ابن الأب بالولادة أي كلمته وصورته. فكلمته هي أقنوم قائم بذاته مميز عن الأب. ثم ان الله الأب اذ يعرف ذاته في الابن صورته يحبه والمحبة متبادلة فالأب يحب الابن والابن يحب الأب لأن كل شيء فيهما مشترك ولا يتميزان إلا بأن الأب والد والابن مولود. فهذه المحبة المتبادلة هي الروح القدس. وبما ان المحبة تصدر بطريقة الإرادة نقول ان الروح القدس لا يصدر بالولادة كالابن بل بالانبثاق. وحيث المحبة متبادلة بين الأب والابن نقول ان الروح القدس ينبثق من الأب والابن لكن كمن مبدأ واحد لأن كل شيء مشترك بينهما ما عدا الأبوة والبنوة. واذ كانت المحبة في الله جوهرية لأنه لا شيء فيه عرضي قلنا ان الروح القدس أقنوم قائم بذاته مميز عن الأب والابن.

وبتشبيه بسيط نوضح كيف أن الأب مصدر الابن وكليهما مصدر الروح القدس وليس واحد من الثلاثة قبل الآخر أو بعده. فلنفترض أنه يوجد إزاء مرآة نور ينبعث منه شعاع يقع على صحيفة المرآة ففي الوقت عينه تُرى في المرآة صورة النور ينبعث منها الشعاع. فالنور هو مصدر الصورة والنور وصورته موجودان بأن واحد. والنور وصورته هما مصدر الشعاع المتبادل بين النور وصورته. والثلاثة أي النور وصورته والشعاع يوجدون معاً. كذلك منذ الأزل الله الأب كائن ويصدر الابن بالولادة وكلاهما مبدأ واحد لانبثاق الروح القدس.